كاظمـــة

تقع كاظمة فى الشمال الغربى من مدينة الكويت داخل جون صغير له شبه لسان (رأس) داخل فى البحر . وتبعد عن مدينة الكويت بحراً ما يقارب الأربعة عشر ميلا . أما من جهة البر فتبعد عن مدينة الكويت بما يقارب العشرين ميلا . حيث أن الطريق البرى المؤدى إلى كاظمة يتجه أولا إلى الغرب من الكويت حتى يشرف على قرية الجهراء ، ثم يتجه إلى الشمال ثم ينحرف قليلا إلى الشرق . وهذا الطريق محاذ للساحل .

وأرض كاظمة منبسطة لا ترتفع عن سطح البحر إلا قليلا ، وتقع جبال غضىّ فى الشمال منها ولا تبعد عنها بأكثر من ستة أميال . والسهل الواقع بين جبال غضى والبحر ، وعرضه ستة أميال يسمّى (البطانة) وهذا السهل من أحسن المراعى إذا سقطت الأمطار .

ويرتاد كاظمة الآن بعض صيادى السمك لصيده وبيعه فى أسواق الكويت . طوال السنة ولهم فيها مصائد (حضور) كثيرة تستغرق ساحل كاظمة تقريباً .

أما آبار كاظمة الموجودة الآن فهى قليلة وغير مستساغة وهى قريبة من سطح الأرض . ويقال أن هناك نبتا صغيراً داخلا فى البحر ، بحيث لا يبين إلا فى أثناء الجزر ، فيختلط بماء البحر المحيط به فيحيل ماؤه ملحاً أجاجاً .

جغرافيتها القديمة :

قال ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان . كاظمة جون على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان . وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب « أى دون العذب » واستسقاؤها ظاهر « أى غير بعيدة الأرشية » .

وجاء وصف كاظمة فى صبح الأعشى قال : كاظمة جون على ساحل البحر بين البصرة والقطيف فى سمت الجنوب من البصرة مسيرة يومين . وأربعة أيام عن القطيف .

كاظمة هى الجهراء ! !

كاظمة موضع له شهرة واسعة عند العرب ، سواء فى الجاهلية والإسلام ، وليس من المعقول أن يشتهر موضع مثل كاظمة إلا أن يكون ذا ماء وفير ، وأعز ما فى الصحراء الماء . والجهراء لا تبعد عن كاظمة بأكثر من بضعة كيلو مترات . وأنا أعتقد أن الجهراء هى التى كانت تدعى كاظمة قديماً . حيث أن ما مر فى وصف كاظمة ينطبق على الجهراء تماماً ، وبما أن الموضعين متقاربان ولم أجد للجهراء أثراً فيما تتبعته من مصادر قديمة ، سواء باسمها الحالى أو باسم آخر ، وكل ما وجدته عن لفظة الجهراء هو ما ذكره صاحب التاج قال : (الجهراء ما استوى من ظهر الأرض ، لا شجر فيها ولا اكام ولا رمال ، إنما هى فضاء . وقال أبو حنيفة : الجهراء . الرابية المحلال ليست بشديدة الإشراف وليست بربلة ولا قف .)

وماء بهذه الوفرة التى تكفى لسد حاجة الآلاف ، لا يمكن مطلقاً أن يكون مغموراً فلا يرد له ذكر فى أشعار العرب القدماء . وهم الذين لم يتركوا حتى الأكمة الصغيرة التافهة إلا وذكروها فى أشعارهم المكتظة بأسماء المواضع والمياه والروابى والأودية ، فالجهراء اليوم من أكبر قرى « الكويت » وأوفرها مياهاً وبها مزارع يزرع فيها البرسيم بكثرة ، كما يزرع الطماطم والخضر وبعض البقول والنخيل والأثل — بينما ينتشر اسم كاظمة القريبة منها ذلك الانتشار الذى ملأ كتب الأدب وتغنى به أكثر الشعراء ، وعلى الأخص التميميين منهم على قلة مياهها التى لا تستساغ لملاحتها

إن الكويتيين حين نزلوا هذا الجزء الذى أطلقوا عليه اسم الكويت ، لم يكونوا من البداة بل كانوا أرباب سفن يمتهنون « الغوص » الذى هو المورد الأول لهم ، فكانوا يرتادون بسفنهم المناطق القريبة من الكويت لصيد السمك ومن بين هذه المناطق ساحل كاظمة ، وهناك فى ذلك الساحل ميناء صغير تصلح كل الصلاحية لإيواء السفن الصغيرة عن جميع الرياح ، فأطلقوا على هذا القسم بالذات اسم كاظمة الذى أظن أنه كان يشمل كل تلك المنطقة بما فيها الجهراء .

والتاريخ يحدثنا حين نتتبع وقعة ذات السلاسل عام ١٢ من الهجرة بأن هرمز وهو قائد شيرين بن كسرى جمع

جموعا كبيرة فنزل بهم على ماء كاظمة لسد الطريق فى وجه خالد بن الوليد وقتاله لحماية العراق . وقدم خالد بن الوليد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً فنزل تجاههم فى غير ماء فشكى أصحابه ذلك فقال جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين . فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم ، بعث الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرتهم حتى صارت لهم غدران من ماء .

وفى هذه الوقعة انتصر المسلمون على الفرس وفيها غنموا غنائم لا تقدر ويقال أن من هذه الغنائم قلنسوة هرمز ويقدر ثمنها بمائة ألف . وسميت هذه الوقعة بذات السلاسل لأن الفرس ربطوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفروا .

فمن حديث هذه الوقعة يتجلى لنا بوضوح أن الجهراء المعروفة الآن بهذا الإسم هى كاظمة بالذات لأسباب منها .

١ — أن جيش الفرس لا يقل عن جيش خالد بن الوليد الذى بلغ فى هذه الوقعة ثمانية عشر ألفا ، وجيش فى مثل هذا العدد لا يمكن أن يكفيه ماء كاظمة المعروف الآن فى حين أن آبار الجهراء كافية لتزويد أكثر من هذا العدد بالماء .

٢ — لو فرضنا أن الفرس نزلوا الموضع المعروف الآن بكاظمة ، لكان فى وسع خالد بن الوليد أن ينزل على ماء الجهراء الموالى له ، حيث أن خالداً قادم من الحفير وهو فى الجنوب . ومن المستحيل أن يكون ماء الجهراء مجهولا لدى العرب القدماء إذ أن انخفاض منطقة الجهراء هذا الانخفاض الكبير يوحى لكل من وقعت عينه عليه بأن من المؤكد أن يكون هناك ماء . ومعروف عن القدماء أنهم كانوا يحفرون (الطوال) تلك الآبار التى لا يقل عمقها عن الأربعين قامة . كالصافه . واللهابة . والقرعاء . والرقعى والحفر . بينما لا يزيد عمق آبار الجهراء عن أربع أو خمس قامات . وإذا فمن المؤكد أن الجهراء هى كاظمة .

كاظمة « الجهراء » فى الأدب العربى القديم .

جاء ذكر كاظمة فى كثير من أشعار العرب . وطالما تغنوا بها وحنوا إليها فقد كانت مرتع حب ومغانى هوى لكثير من فحول شعرائهم يرددون ذكرياتهم العزيزة ووقائعهم ذات المفاخر . ويتخذون من ربوعها ومغانيها — وهى الواحة الخضراء — مشابه وأوصافاً فى أشعارهم . فمن ذلك قول امرىء القيس .

إذ هن أقساط كرجل الدبى أو كقطا كاظمة الناهل

ولبعض الأعراب :

ضمنت لكن أن تهجرن نجداً
وأن تسكن كاظمة البحور

ولعمر بن القعقاع فى وقعة ذات السلاسل .

سقى الله قتلى بالعراق مقيمة
وأخرى باثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً
وبالثنى قرنى قارن بالجوارف

ومن أمتع ما قيل فى كاظمة :

يا حبذا البرق من أكناف كاظمة
يسعى على قصرات المرخ والعشر
لله در بيوت كان يعشقها
قلبى ويألفها إن طيبت بصرى
فقدتها فقد ظمآن أداوته
والقيظ يحذف وجه الأرض بالشرر
أمنية النفس أن تزدار ثانية
وحالنا والأمانى حلوة الثمر

ولجرير .

هل ينفعنك إن جربت تجريب
أم هل شبابك بعد الشيب مطلوب
أم كلثك بسلمانين منزلة
يا منزل الحى جادتك الأهاضيب
كلفت من حل ملحوباً وكاظمة
ههات كاظمة منا وملحوب
قد كلف القلب حتى زاده خبلا
من لا يكلم إلا وهو مجنوب

وفى كاظمة قرب السيف قبر مظهر جد الأصمعى ومظهر هذا أدرك النبى وأسلم .

(الكويت) أحمد البشر

بقية المقال (الفرزدق كويتى)

منطق

إذا تعثر الرفيع ووقع فانظر إلى خلانه وموالية كيف يطيرون ، أما إذا ارتفع الوضيع فشر أعدائه ينقلب صديقاً إنك ما استغنيت عن الناس صديقاً لهم أجمعين ، فإذا احتجت إليهم انقلبت العدو المبين .

« شكسبير »